واجبنا فى مواجهة الغارات

للاستاذ محمد زكى عبد القادر

تؤكد الحرب الشعور بالتضامن الاجتماعى بين أفراد الأمة ، لأن الحرب تنطوى على كوارث عامة ، ومن شأن الكوارث العامة أن تجمع قلوب الأفراد وتوحد بينها ، فتبدو الأمة كتلة واحدة ، وقد جاءت الحرب الحالية بكوارث جديدة لم تكن معروفة فيما سبقها من حروب . وأعنى بها كوارث الغارات الجوية ، فهى لا تصيب المحاربين وحدهم ، ولكنها تصيب المدنيين أيضا ، تصيب النساء والأطفال فى بيوتهم بل وفى مضاجعهم ، وهذه وحشية من غير شك ، ولكن البحث فى هذه الناحية بحث لا فائدة فيه ، فالمحقق أن المحاربين يلقون قنابل طائراتهم على المدن الآهلة بالسكان ، وقد يكون غرضهم إصابة أهداف عسكرية ولكن الخطر على المدنيين قائم من ضربة طائشة أو خطأ فى التسديد .

وقد تعرضت بلادنا الى مثل هذا الخطر ولا تزال معرضة له ، وهذا يضع على عواتقنا جملة واجبات ، نلتزم ببعضها كأفراد وببعضها الآخر كجماعة تؤلف شعبا متحد الأهداف وأخيرا تلتزم الحكومة بواجبات خاصة هى غير واجبات الأفراد والشعب .

أما واجباتنا كأفراد تعنيهم صيانة حياتهم والدفاع عنها فتجىء فى الصف الأول من الواجبات ، وبمقدار قيامنا بها ، يكون تهوين العمل على الحكومة واحسان الدفاع العام عن الشعب ، والتقليل بقدر الإمكان من أخطار الغارات .

وأول هذه الواجبات أن يدرس كل واحد منا وسائل الوقاية من الغارات وأن يتابع كل ما يكتب عنها أو يذاع . وقد سمعت من كثيرين أنهم لا يعنون بقراءة شىء فى هذا الموضوع ، لا لأنهم يكرهون أن يحافظوا على حياتهم أو لأن حياتهم رخيصة لديهم ، ولكن لأنهم يعتقدون أن الأعمار بيد الله ، وأن الأقدار والحظوظ مقسومة ، وأن ما كتب للإنسان سوف يأتيه ، ولكنهم ينسون من جهة أخرى أن الله أمرهم أن يتقوا المهالك ، ويلتمسوا النجاة بوسائلها ، إن مثل هذا الإيمان لا ينبغى أن يصرفنا عن السعى لإبعاد الخطر عنا واتقائه إذا حل بنا ، والإيمان بالقدر والحظ هو بعد ذلك خط الدفاع الحصين الذى يعطينا قوة النفس والصبر على المكاره والرضاء بقضاء الله ، وهو الذى يجملنا بالشجاعة والصلابة فلا يستطيرنا الفزع ولا يخرجنا عن ثبات العزم ولا قوة الأعصاب .

أما الاعتماد على أن الأعمار بيد الله والسكوت بعد ذلك مع الاستسلام للحوادث فسلوك لا يحسن بانسان أن يختاره لنفسه فانه يدل على تهاون نهى الله عنه .

من واجبنا اذن أن نعد العدة لاتقاء الخطر ما استطعنا الى ذلك سبيلا . ونحن كأفراد مطالبون بوقاية عائلاتنا وذوينا ممن يعتمدون علينا ويركنون الينا، فاذا لم تكن للفرد منا عائلة، فان همه سينصرف بطبيعة الحال الى التماس أسباب الوقاية لنفسه . فاذا كان عمله يتطلب منه البقاء فى المدينة المعرضة للخطر ، وجب أن يهيئ لنفسه المخبأ إن استطاع ، أو يعرف الى أى مخبأ عام سبيلا ، وأن يبتعد بمسكنه عن المناطق التى تبدو معرضة للخطر عن غيرها . ثم يدرس وسائل الوقاية الأخرى ويتابع نصائح مصلحة الوقاية وما يكتب فى هذا الموضوع أو يذاع عنه ، وأن يعرف كيف تقع أكثر الاصابات ولماذا تقع وكيف يتصرف اذا فاجأته الغارة وهو فى الشارع أو المقهى أو البيت، وهو نائم أو مستيقظ، وأن يحتفظ بثبات النفس ويقظة الحواس . فلا يصرفه الجزع عن التصرف الهادى ولا يجعله الخوف يتداعى جزعا فاذا به فى وقت الخطر يتولاه الرعب فلا يعرف الى أين يذهب ولا كيف يختبئ . وقد دلت حوادث الغارات ، سواء فى الاسكندرية أو فى غيرها من العواصم والمدن الأوربية على أن الرعب الذى يصيب السكان المدنيين بسبب الغارات ، أشد فتكا من قنابل الطائرات . فاذا كانت ظروف الرجل الذى يعيش بمفرده فى المدينة تسمح له بهجرها الى الريف كأن كان ايراده من أرض يملكها مثلا، فان من واجبه حينئذ أن يعود الى الريف لكى يعيش فيه. ولا أحب أن استطرد من الموضوع الأصلى، فأعرض للفوائد التى يمكن أن يجنيها ويجنيها الريف من عودته اليه . ولكن حسبى أن أقول إن أول هذه الفوائد أنه سيعيش فى جو أكثر طمأنينة وأمنا .

أما اذا كان الرجل صاحب عائلة ، فينبغى له أن يعمل على ترحيل عائلته الى الريف اذا كان ذلك فى مقدوره . ولا يحسن أن ينتظر الى أن يحل الخطر فعلا ، فإن الخطر متوقع فى كل وقت . وإصالة الرأى هنا تتطلب منا أن نسبق الخطر ونتقيه لا أن نظل جامدين الى أن يحل فعلا ، فقد تصيبنا الكارثة لأننا لم نأخذ موثقا من الاقدار بأن تخطئنا .

فاذا لم يكن فى استطاعته ترحيل عائلته ، لعدم قدرته من الوجهة المالية أو لعدم وجود مكان فى الريف يطمئن اليه، فان الأمر هنا يتعلق بواجب الحكومة ، وهو ما سأعرض له فيما بعد. وهو لا يتعلق بالحكومة فحسب ، ولكن يتعلق أيضا بالأغنياء من الشعب وهذا يقودنا الى الحديث عن واجبنا كشعب متحد الأهداف والغايات .

وكما قدمت ، إن كوارث الغارات يجب أن تزيد التضامن الاجتماعى بين أفراد الأمة . وقد قال "جودوين" إن فى العالم من الخيرات ما يكفى الجميع. ولو عرف جودوين مصر وعاش فى هذا العصر لقال إن فيها من الأماكن ما يكفى أن يلجأ اليه الجميع . فسكان المدن المعرضة للخطر من الفقراء ذوى العائلات لا بد ان يجدوا فى ضياع الاغنياء فى الريف ملجأ ، لا بد أن يجدوا منهم آية على قيام التضامن بين أفراد الأمة ، فقد فتح اغنياء الانجليز قصورهم وضياعهم فى الريف للاطفال والعجزة والنساء فلفوا فيها كل اكرام وترحاب ، ودلوا بذلك على أن المصائب تؤلف بين القلوب ، وأن الشعب الجدير بهذا الاسم ، الشعب الطامح الى

المجد والحياة الكريمة هو الشعب الذى يعرف كيف يعطى من عنده من ليس عنده . ونحن نحمد الله على أن عندنا من الخيرات كثيرا ، وعندنا من الأغنياء عددا كبيرا . وقد أمرتنا الشرائع السماوية التى نعتنقها أيا كان الدين الذى ننتمى اليه على أن نعطى المحتاج وأن نبر الفقير ، وأن نؤوى المطرود ونعطى المحروم .

واجبنا كشعب إذن هو أن نتعاون لاتقاء كوارث الغارات والتقليل من أضرارها بقدر الامكان . وقد روى أن بعض أهل الاسكندرية هرعوا الى مخبأ فى احدى العمارات ، فذادهم عنه الحدم والبوابون فاضطروا أن يقفوا فى الشوارع معرضين للقنابل وشظاياها ، بينما كان المخبأ على قيد خطوات منهم ، فيه متسع لهم ولأكثر منهم . مثل هـذا الحادث لا يشرف أصحاب هذه العمارة وهو مع الأسف الشديد يدل على فقدان التضامن الاجتماعى .

إن حيوية الأمة تبدو فى خلال الكوارث . بل إن هذه الكوارث تعد الامتحان الأول والامتحان الأعظم لسلامة بنيانها وكيانها . و بمقدار تجارب الأمة فى هذه الكوارث وحدب الغنى فيها على الفقير ، والقوى على الضعيف ، بمقدار مسارعة القادرين الى حمل العاجزين والناجين الى معاونة المنكوبين ، تكون قوة الأمة و يكون استحقاقها للحياة الجيدة الكريمة .

أما واجب الحكومة فيما يختص بالغارات فواضح وقد كثر الكلام فيه . وواجبها الأول هو الاشراف على شئون الوقاية العامة ، بانشاء المخابئ وارشاد الجمهور الى وسائل الوقاية واذاعتها عليه ، وتعيين المناطق الخطرة واخلائها من السكان وتيسير الهجرة للراغبين فيها ، وتنظيم المهاجرين وتوزيعهم على البلاد فلا يتركون على هواهم ، يتكاثرون فى جهة من الجهات مع تدبير العمل للقادرين عليه منهم و إعانة العاجزين والضعفاء . ومن واجبها أيضا أن تعين المنكوبين بالغارات عونا عادلا شاملا ، وتهيئ لهم وسائل العيش بالعمل لمن يستطيعه منهم ، و بالانفاق على من لا يستطيع العمل .

اذا وضحت هذه الواجبات ، ووضحت الحدود بين كل منها ، وقام الأفراد بواجبهم وقام الشعب كمجموع بواجبه و بدت الأمة متماسكة صامدة فى وجه الخطر ، أمكن تقليل أضرار الغارات الى حد كبير . وأمكن معاونة الحكومة على اداء واجبها . فان الأمة ذات الحيوية والقوة لا تنتظر من الحكومة أن تفعل كل شىء . بل يجب أن يكون شعورها بالواجب حافزا على العمل الفردى من جانب كل فرد والعمل الجمعى من جانب المجموع مدفوعا اليه بالغايات والأغراض التى توجه الأمم والشعوب من غير انتظار لتوجيه الحكومات وتدخلها فى كل صغيرة وكبيرة . إن آية الرقى للأمة أن يقل اعتمادها على الحكومة ويزداد اعتمادها على أفرادها وهيئاتها و جمعياتها . أعنى أن تزداد اعتمادا على الاحساس العام بالواجب . والواجب فى نكبات الغارات يمكن تلخيصه فى عبارة واحدة ، هو أن تتضامن الأمة تضامنا اجتماعيا قويا صحيحا

محمد زكى عبد القادر